وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل
كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

علمية نصف سنوية محكّمة

المجلد الرابع عشر العدد (٢٢ / ٢) ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل
كلية العلوم الإسلامية

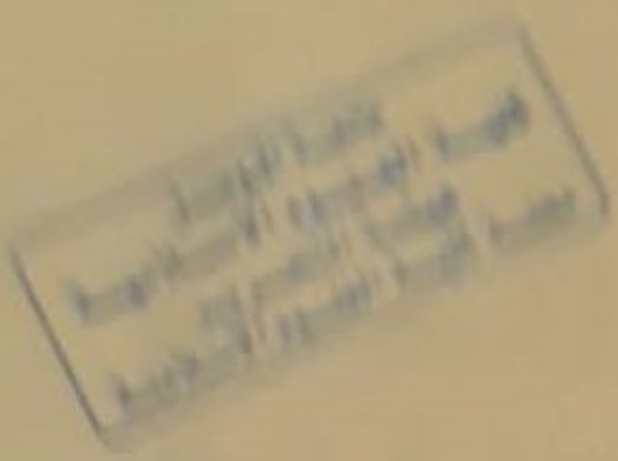

مجلة كلية العلوم الإسلامية

مجلة نصف سنوية محكمة تصدرها
كلية العلوم الإسلامية
جامعة الموصل

المجلد الرابع عشر - العدد (٢٢ - ٢٠٢٠)

جمادى الاولى / ١٤٤٢ هـ
كانون الاول / ٢٠٢٠ م

المحتويات

الموضوع	الصفحة
شرح منظومة سعد في العرض فيما يتعلق بقاعدة الجمع للشيخ الحسين بن إسماعيل بن عمر الكتاني ت ١٩٣٦هـ (دراسة وتحقيق) د. محمد عبد الله محمد شريف	١ – ٣٤
أثر مواطن الاهتمام بين دولة حاضرة وبادية في دولة خاصة - سورية الأنموذجة م. م. وداد محمد جمال عبد الفتاح م. باحث. هدى فهمي سليمان	٣٥ – ٨٢
الخطاب الاستئنافي في سورة الصافات (دراسة وصفية) د. عمار يونس عبد الرحمن د. فاطمة يونس عبد الرحمن	٨٣ – ١٠٦
وهم السخاوي للإمام الشاطبي الفقيه وصنفهم الإمام الشاطبي لا يطلب الأسانيد في كتاب الموطئ له أ.م. د. محمود حسن عطية الجبوري م. م. حامد فلاح حامد الفهداوي	١٠٧ – ١٢٦
الأثر اللغوي للحديث النبوي الشريف في كتاب (الزاهر في معاني كلمات الناس) لأبي بكر الأنباري – دراسة لغوية تحليلية م. المحامد صالح مهدي	١٢٧ – ١٦٤
عادلة الصدارة في منظور العقيدة الإسلامية أ.م. د. وائد سالم شريف	١٦٥ – ٢٠٥
مفهوم الافتقار إلى الله تعالى بالمنظور القرآني و السنة النبوية دراسة تأصيلية موضوعية م. عمر ياسين طه حسين الصلاح	٢٠٦ – ٢٣٤

جامعة الموصل
كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية
كلية العلوم الإسلامية

الخطاب الإنساني في سورة الحجرات (دراسة وصفية)

د. عمار يونس عبد الرحمن *
د. فاضل يونس حسين **

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الحديث عن الخطاب الإنساني العام دون تمييز ليكون معتدلا غير متطرف، أتى به القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً، تمثل في سورة ليست بالطويلة جسدت هذا الخطاب وجعلته سمة بارزة حية، وتلك هي سورة "الحجرات"، فالخالق العظيم يخاطب فيه عباده (بني الإنسان) خطابا هادفا يستثير فيه إنسانيته ليحثها على التعايش السلمي بغض النظر عن اختلاف الآراء والأفكار في المعتقدات، ليجعل من الإنسان إنسانا يعي وجوده وحياته لكي يعيش في أمن وسلام ووئام مع الجميع.

Abstract

The research focuses on the general humanitarian discourse without distinction as a moderate non-extremist, brought by the Holy Quran fifteen centuries ago, represented in a short Surah embodied this speech and made it a prominent feature of life. This is "SURAT AL-HUJURAT". the great Creator addresses the worshipers (Human being) is a meaningful speech in which he inspires his humanity to encourage peaceful coexistence, regardless of differences of views and ideas in beliefs, to make man a human being aware of his existence and his life in order to live in security, peace and harmony with all.

* تدريسي / جامعة الموصل / كلية العلوم الاسلامية .
** تدريسي متقاعد .

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

فإن الخطاب في القرآن الكريم كله لا حله خطاب إنساني معتدل، يتحاشى التحزب والتعصب والعلو والغلو والتطرف، والتمييز العنصري بمختلف صوره وأشكاله، إذ إنك حين تقرأ هذا الخطاب، لن تجد فيه نفسا قوميا، ولا طائفيا، ولا عرقيا... بل يتملكك الشعور بأن خالق الإنسان سبحانه وتعالى يخاطب الإنسان ويحاوره ويناديه كمخلوق أصله واحد من ذكر وأنثى: (آدم وحواء)، وهذا في جميع القرآن الكريم، لكن اختص بهذا البيان القرآني سورة تميزت بسهولة عباراتها، ووضوح معانيها، لا يكاد المرء يحتاج في وعيها وإدراكها وفهمها إلى تفسير أو معجم، فأتى الغرض في غاية الوضوح ليكون أبلغ تأثيرا في النفس البشرية. هذا وكانت خطة البحث على النحو الآتي:

المقدمة:

التمهيد: تعريف المفاهيم؛ الخطاب، الإنسان، الاعتدال.

١. الخطاب لغة واصطلاحا.

٢. الإنسان لغة واصطلاحا.

٣. الاعتدال لغة واصطلاحا.

المبحث الأول: تدرج الخطاب في السورة حسب سلم الأوليات

المطلب الأول: الأدب مع الله تعالى ورسوله ﷺ

١. الأدب مع الله سبحانه وتعالى

٢. الأدب مع الرسول ﷺ

المطلب الثاني: الأدب مع الناس

١. الأدب مع المؤمنين خاصة

٢. الأدب مع الناس عامة

المطلب الثالث: خطاب الناس عامة

المبحث الثاني: الخطاب الإنساني المعتدل في السورة المباركة(موضوع الدراسة).

المطلب الأول: أقوال المفسرين

المطلب الثاني: الخطاب العام

التمهيد:

إن الخطاب القرآني يصدر إلى الإنسان مستندا على طاقة اللغة الدلالية، وما فيها من بلاغة، لكي يبدأ خطاب رصين العناوين، عميق المضامين، حسن اللفظ والعبارة، غرضه الإنسان من حيث هو محور الخطاب الشامل البناء.

فالإنسان هو محل تنزل ذلك الخطاب، بعيدا عن العرق، والثقافة والجنس والانتماء لوطن أو قبيلة، فالقرآن الكريم حاوره بخطاب هادف في جميع المواضع والمواقف والمناسبات، حيث هو الهدف والغاية والمقصد، ومركز العناية والاهتمام والرعاية.

وهذا الخطاب يحوي مجموعة من الألفاظ والمفاهيم والاصطلاحات التي استثمرت لتكون قناة لإيصال الخطاب المقصود إلى الإنسانية كافة من غير تمييز.. ومن أعمها وأكثرها تداولا في كتاب الله تعالى عموما وفي سورة الحجرات خصوصا (الناس)؛ أي: الإنسان بجنسه.

وإن هذا الاختيار لهذا اللفظ بالذات، مشعر بقيمته في الدلالة على البعد الإنساني، في جبلة هذا الإنسان، والتي جاء القرآن الكريم ليزكيه ويهذبه وينميه ويطوره. وختمت سورة الحجرات بهذا اللفظ بعد نداء المؤمنين بصيغة:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) [1]، ليجعل الناس كأسنان المشط في المستوى نفسه من تلقي الخطاب، إذ إن أصلهم واحد؛ آدم وحواء، لا يفرقهم ولا يميز بينهم إلا ما يندرج تحت مسمّى التقوى من الأعمال الصالحة المرضية.

تكرر هذا اللفظ :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...) في القرآن العزيز في (٢١) موضعاً في تسع سور؛ خمس منها مكية وهي: الأعراف، ويونس، والنمل، ولقمان، وفاطر، وأربع منها مدنية وهي: البقرة، والنساء، والحج، والحجرات. وفي ذلك رد على من زعم بكون هذا النداء خاصا بالعهد المكي، كما أن هذا التوزيع المتساوي تقريباً بين العهدين المكي والمدني أمارة على أن نداء الناس في القرآن قضية مركزية وجوهرية لم تتغير تبعاً "للزمان" و"المكان" [2]؛ حتى في العهد

المتلقي، وهذا ما يجعل المخاطب الأول والأخير الناس، من دون تحيز ولا تعصب لأحد على حساب أحد. ولئن كانت صورة الخطاب في آيات النداء موجهة إلى مسلمين على التخصيص، فهذه الصورة عامة شاملة للمكان والزمان والأشخاص، حتى من لم يحضر وقت سماع هذه الآية، ومن سوف يوجد في المستقبل، وهذا التعميم يستلزمه عموم التكليف وعدم قصد تخصيص الحاضرين. ولذا نقول: إن تخصيص عدد من المفسرين الخطاب بمشركي مكة قد لا ينسجم مع السياق، بل لا يندرج تحت معاني الألفاظ علما انه قول جماهير المفسرين وأئمة كتب علوم القرآن قديما وحديثا .

ثم إن ختام السورة بل في موضع قريب من الختام بين القرآن الكريم قضية مهمة التعارف بين الناس ببيان الأكرمية والتشريف والتفضيل أساسه التقوى ، وذلك في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) سورة الحجرات: ١٣.

إن التعريف والإعلام بما يتضمنه دين الإسلام ينبغي أن يكون خطابه اليوم مرتكزا على هذه المفاهيم العليا بأغراضها السامية وهدفها النبيل، والغايات الكلية الجامعة، وهذا ما نعتقده في سبيل نجاح الدعوة .

والخطاب الإنساني المتمثل في هذه السورة الكريمة حين يتوجه إلى الناس بالنداء ينشأ بنداءات مشوقة محببة إلى النفوس، ومضامين مراعية حالة على الاستئناس محفزة للتلقي والاستجابة، وبراهين ساطعة تستند على المنطق السليم، وثوابت مركزية راسخة لا تتحول ولا تتحور، لأن حديث السورة مع الناس من حيث هم ناس ليس إلا ... لا فرق بين صغيرهم وكبيرهم، ولا أكرهم وأتقاهم، ولا بين حاكم أو محكوم، ولا بين عبد ولا سيد ... وهذا ما يترسخ في صلاة الجماعة يوميا، وعند أداء مناسك الحج سنويا والعمرة في سائر الأوقات[٣] .

وإن هذا الخطاب الشامل ليدعو بلا ريب لمشروع القرآن الكريم في مخاطبة الإنسان بكليات جامعة تصلح للناس كافة، وتوافق أذواقهم العقلية ومشاربهم المتنوعة ، وتسير مع فطرهم التي فطر الله الناس عليها، لأنها حقيقة تستقي مصداقيتها من تكيفها مع الواقع [٤].

فهو ذلك الكائن العاقل، المفكر، المدبر، المكلف، البصير بالأمور، المسؤول، ذو الروح السامية، والجسد المتكامل القوي، المسخر لخدمته في دنياه لطريق الخير إن أراد، ولطريق الشر والهلاك إن شاء [١٦]. قال تعالى:(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) سورة التين: ٤، وقال: (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ) سورة الانفطار: ٧- ٨، وقال: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) سورة الإسراء: ٧٠. فالإنسان إذن هو المتصف بمزايا راقية في بدنه ونفسه وعقله وروحه، مع ما ناله من التكريم الإلهي. والإنساني: المنسوب إلى الإنسان.

- **مفهوم الاعتدال :**
- **الاعتدال لغة :**

عدل الشيء: أقامه وسواه، يقال عدل المكيال والميزان والحكم أو الطلب غيره بما هو أولى عنده، والشاهد أو الزاوي زكاه والمتاع جعله عدلين، (اعتدل) توسط بين حالين في كم أو كيف؟ أو تناسب يقال ماء معتدل بين الحار والبارد وجو معتدل بين الخزازة والبرودة وجسم معتدل بين الطول والقصر أو بين البدانة والنحافة واستقام ويقال هي حسنة الاعتدال القوام [١٧]. وكل ما أقمته فقد عدلته وعدّلته، لكن الجوهري جعله مطاوع المشدد، ونص عبارته: وتعديل الشيء: تقويمه، يقال عدلته فاعتدل، أي قومته فاستقام، وكل مثقف معتدل [١٨].

الاعتدال اصطلاحا:

فالاعتدال: الاستقامة والاستواء [١٩]. والمعتدل: ما كان فيه الاعتدال [٢٠]، وعليه فالمعتدل هو المستقيم الذي لا ينحرف ولا يشتط ولا يغلو ولا يتطرف.. وهذا الذي حث عليه الإسلام في القرآن والسنة، ونهى عن مخالفته وسلوك طريق سواه.

المبحث الأول: الخطاب الخاص في السورة الكريمة

الخطاب في هذه السورة الكريمة فيه طابع التدرج، من خطاب الله تعالى للمؤمنين بالتأدب

وجه إليهم عن شأنهم وأمرهم وقصتهم وعن عنتهم وقيل أرسلوا [٣] وجاء بصيغة المبني عن المخاطب في قوله تعالى ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [سورة هود: ٣٧] سورة المؤمنون: ٢٧ ﴾ أي أمره أن يراعي حق الأدب، ولم يكن له في الشفاعة لأحد من أولئك المشركين، فقال: لا تخاطبنا فيهم [٣] قال المراد بالمخاطبة النهي عنها المخاطبة التي ترفع عقابهم فتكون للمهم كالشفاعة، وطلب تخفيف العقاب لا مطلق المخاطبة، وتأمل هذا توطئة لنهيه عن مخاطبته في شأن ابنه الكافر قبل أن يخطر ببال نوح عليه السلام سؤال نجاته حتى يكون الرد عليه حين السؤال ألطف [٤].

الخطاب اصطلاحا:

عرفه القدماء بعدة تعاريف منها:

- هو كلام يفهم المستمع منه شيئا، وهذا تعريف غير مانع، إذ يدخل فيه الكلام الذي لم يقصد المتكلم به إفهام المستمع، مع أنه يفهم منه شيئا، وهو ليس خطابا، والحق أنه اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه [٥].
- توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، والمراد بخطاب الله إفادة الكلام النفسي الأزلي [٦].
- قول يفهم منه من سمعه شيئا مفيدا مطلقا [٧]. أو: القول الذي يفهم المخاطب به شيئا [٨].

وعند المعاصرين ثمة تعاريف أخرى منها:

- هو كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على المتلقي سامعا كان أو قارئا [٩].
- كل ملفوظ يندرج تحت نظام اللغة وقوانينها فهو نص، فإن اندرج تحت السياقات الاجتماعية سمي خطابا، وعليه فالخطاب متطلع إلى مهمة توصيل رسالة [١٠].
- مظهر نحوي مركب من وحدات لغوية، ملفوظة أو مكتوبة، تخضع في تشكيله وفي تكوينه الداخلي لقواعد قابلة للتنميط والتعيين [١١]. فالخطاب توجيه الكلام إلى من يتلقاه.

- **مفهوم الإنسان:**

لا يحتاج هذا المصطلح "الإنسان" إلى تعريف، فهو أشهر من التعريف نفسه، وإن القرآن الكريم وضع الإنسان في أحسن تقويم، وأشرف صورة، وأسمى مكانة له بين الكائنات الحية جميعا،

فهو ذلك الكائن العاقل، المفكر، المدبر، المكلف، البصير بالأمور، المسؤول، ذو الروح السامية، والجسد المتكامل القوي، المسخر لخدمته في دنياه لطريق الخير إن أراد، ولطريق الشر والهلاك إن شاء [١٦]. قال تعالى:(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) سورة التين: ٤، وقال: (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ) سورة الانفطار: ٧- ٨، وقال: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) سورة الإسراء: ٧٠. فالإنسان إذن هو المتصف بمزايا راقية في بدنه ونفسه وعقله وروحه، مع ما ناله من التكريم الإلهي. والإنساني: المنسوب إلى الإنسان.

- **مفهوم الاعتدال :**
- **الاعتدال لغة :**

عدل الشَّيْء: أَقَامَهُ وسواه، يُقَال عدل الْمِكْيَال وَالْمِيزَان وَالْحكم أَو الطّلب غَيره بِمَا هُوَ أولى عِنْده، وَالشَّاهِد أَو الرَّاوِي زَكَّاهُ وَالْمَتَاع جعله عَدْلَيْنِ، (اعتدل) توسط بَين حَالين فِي كم أَو كَيف؟ أَو تناسب يُقَال مَاء معتدل بَين الْحَار والبارد وجو معتدل بَين الْحَرَارَة والبرودة وجسم معتدل بَين الطول وَالْقصر أَو بَين البدانة والنحافة واستقام وَيُقَال هِيَ حَسَنَة الِاعْتِدَال القوام [١٧]. وكل ما أقمته فقد عدلته وعدّلته، لكن الجوهري جعله مطاوع المشدد، ونص عبارته: وتعديل الشيء: تقويمه، يقال عدلته فاعتدل، أي قومته فاستقام، وكل مثقف معتدل [١٨].

الاعتدال اصطلاحا:

فالاعتدال: الاستقامة والاستواء [١٩]. والمعْتَدِل: ما كان فيه الاعْتِدَال [٢٠]، وعليه فالمعتدل هو المستقيم الذي لا ينحرف ولا يشتط ولا يغلو ولا يتطرف.. وهذا الذي حث عليه الإسلام في القرآن والسنة، ونهى عن مخالفته وسلوك طريق سواه.

المبحث الأول: الخطاب الخاص في السورة الكريمة

الخطاب في هذه السورة الكريمة فيه طابع التدرج، من خطاب الله تعالى للمؤمنين بالتأدب معه سبحانه، ثم مع رسوله المكرم ﷺ، ثم مع سائر المؤمنين. وكأنه تدرج من الخاص إلى العام

حيث في نهاية المطاف يتحول الخطاب إلى الناس عامة ذكرهم وأنثاهم ليقرر لهم أنهم كأسنان المشط سواء لا فرق بينهم إلا بالتقوى.

المطلب الأول: الأدب مع الله تعالى ورسوله ﷺ:

١. **الأدب مع الله:**

شرعت الآي في قوله تعالى :((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) سورة الحجرات الآية :١ ، هنا في بيان أدب المؤمن مع ربه تعالى، وتفسيرها: أن الله تعالى أمرهم أن لا يقضوا أمرا من دون الله ورسوله ﷺ، فلا يعملوا شيئا من ذات أنفسهم. وفيه الإشارة إلى أن يكونوا من أهل الاقتداء والاتباع، وليس من أهل الابتداع (٢١). وهو حق الله تعالى على عباده، فإنه يجب عليهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا، ويعبدوه ويشكروه سبحانه وتعالى.

٢. **الأدب مع الرسول ﷺ:**

أما الأدب مع الرسول ﷺ، فقد بينته الآيات التي نهت عن مسابقته بإبداء رأي أو مشورة، نهى الله تعالى عباده، بعدم التقدم على نبيه ﷺ ، لأن التقدم بين يدي رسوله ﷺ تقدم بين يدي الله تبارك وتعالى وقد أراد وهو أعلم بهذا التقدم مطلقه فيشمل التقدم بالقول والفعل وهذا من جملة تأديب الله تعالى عباده احتراما لحبيبه ﷺ الذي قدمه على خلقه أجمع، وقد حذّر ومنع جل جلاله في هذه الآية من أن يتكلم أحد قبل أن يتكلم أو يمشي إذا كان معه قبل أن يمشي أو يفعل شيء (٢٢). وكان الأصحاب يعرفون هذا الأمر فلا يسبقونه بقول إلا إذا استشارهم وطلب رأيهم، كما فعل الحباب ابن المنذر رضي الله عنه يوم بدر (٢٣).

المطلب الثاني: الأدب مع الناس

أ- **الأدب مع المؤمنين خاصة:**

هنا يتصدى الخطاب الرباني إلى احتواء المؤمنين بالتوجيه والإرشاد والتربية، فالقرآن الكريم يوجههم نحو طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، بأن لا يتقدموا بشيء من المقترحات والآراء قبل التعرف على حكم الله تعالى وحكم رسوله(٢٤)ﷺ في المسألة المطروحة للتداول والنقاش

وأولوا الأمر المخاطبين بقوله في قوله جل شأنه: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم) الحجرات: ١. والمقصود من الآية الكريمة نهي المؤمنين في كل زمان ومكان عن أن يقولوا قولا أو يفعلوا فعلا يتعلق بأمر شرعي، دون أن يعودوا فيه إلى حكم الله ورسوله) (٢٥).

ثم يوجه الخطاب إلى ذات المؤمنين مع الرسول الكريم ﷺ يخفض الصوت في حضرته، وعدم مناداته بأسمه المبارك مجردا من سمة النبوة والرسالة، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون، إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم، إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) سورة الحجرات: ٢ – ٥.

ثم ينطلق الإرشاد الرباني بإصدار الأمر الخارج إلى الإرشاد والتوجيه، بأن يتحققوا من خبر يلقى إليهم من مصدر غير دقيق، أو غير أمين الجهة، فيأمرهم بالتوثق والتثبت والتأكد والتبين بدقة ووضوح مخافة أن يقعوا في فتنة بسبب قالة تبلغهم من فاسق لا يتورع عن الكذب وما شابه، يقول ربنا تبارك اسمه: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) سورة الحجرات: ٦. فهو تحذير من الوقوع في ندم لا ينفع (٢٦).

ثم تتوالى التوجيهات الربانية في هذا الخطاب الخاص بالمؤمنين، بقوله سبحانه: (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ● فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) سورة الحجرات: ٧ – ٨. حيث يمتن على عباده المؤمنين بنعمة حلول الرسول ﷺ بين ظهرانيهم، مع تحبيب الإيمان وتبغيض الكفر والفسوق والعصيان إليهم، فتلك صفة الراشدين

العقلاء وهم أهل الإيمان.. ومن المؤكد أنه فضل عظيم ونعمة جليلة يجب شكرها فالله هو العالم العليم والحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه المناسب (٢٧).

فهنا نرى الخطاب المفعم بروح الإخوة الإيمانية التي قررها شرع الله تعالى في كتابه الكريم الخالد؛ دستور البشرية الحق، وسيرة نبيه المختار الأمين ﷺ، وقد بلغ ترابطهم الأخوي من مراتب الصدق والإخلاص أعلاها وأغلاها، فجعل الأنصاري يتنازل برغبة وعفوية عن شطر ماله لأخيه في الدين والعقيدة، بل وصل الأمر إلى عرض إحدى زوجاته على أخيه المهاجر، إن هو أحب أن يتزوج واحدة منهن فيطلقها المدني لينكحها المكي المهاجر، كما نرى رادعا على الباغين على الإخوة من أهل الإيمان في هذا الخطاب الذي يصرح: (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) سورة الحجرات: ٩ – ١٠.

وتتزى التوجيهات الربانية في الخطاب الهام الخاص بمن آمن تحذر من العيوب والآفات الاجتماعية الخطيرة والخبيثة، ناهية عن أقبح الرذائل التي هي:

❖ السخرية والازدراء والاحتقار بين المؤمنين رجالا ونساء: حيث نهى الحكيم الخبير عباده المؤمنين عن السخرية، فلا يسخر الرجل من الرجل ولا المرآة من المرأة، لأي سبب كان، وفي السنة عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» (٢٨).

❖ لمز الأنفس. وهو نهي عن العيب فمن عاب يعاب (٢٩).

❖ التنابز بالألقاب. أي التراشق باللقب المكروه (٣٠).

❖ اجتناب الظن السيء القبيح غالبا.

❖ التجسس والتحسس. وهو تتبع عورات المسلمين وعيوبهم (٣١).

❖ الغيبة، وهي ذكرك أخاك بما يكره.

وفي الوقت الذي نهى عنها أمر سبحانه وتعالى بالتوبة التي يكون تاركها ظالماً ويتقوى الله تعالى فهو كثير التوبة لعباده عليم بأحوالهم ومعاصيهم وضعفهم.. وهذا يوضحه لنا قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون. يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله توابٌ رحيم)

سورة الحجرات: ١١ - ١٢.

ذلك هو الخطاب الخاص بالمؤمنين الذين أيقنوا بالله تعالى ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا جعلنا الله تعالى منهم وفيهم ومعهم وحشرنا وإياهم تحت لواء سيد المرسلين، ويمكننا أن نصطلح عليه بالخطاب الحصري المقابل للخطاب الإنساني أو العالمي الذي تميز به كتاب الله تعالى في زمان ومكان، لأن القرآن نزل إليهم جميعا.

ب- الأدب مع الناس عامة:

وهو وجه جميل من وجوه الخطاب القرآني عامة وفي سورة الحجرات خاصة، فإن كتاب الله تعالى يحترم الإنسان أيا كان بغض النظر عن جنسه وعرقه وفكره ودينه وملته ومعتقده ومذهبه وطائفته ولونه وحجمه وكتلته و ... ولذلك فرض الله تعالى على المسلمين أمورا هي من الآداب العامة تتمثل في حسن التعامل مع بني آدم [٣١].

فالله تعالى نهى عن سب آلهة المشركين والكفار والملاحدة احتراما لأفكارهم وشخصياتهم، وعدم جرح مشاعرهم، إلا إذا أفسدوا في المجتمع المسلم، وأشعلوا نار الفتن التي هي أكبر من القتل حسبما ورد معناه في القرآن العزيز، قال تعالى: (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون)

سورة الأنعام: ١٠٨.

والله تعالى أمر النبي الكريم ﷺ بالدعوة إليه بالموعظة الحسنة مع مراعاة أحوال الناس الذين سمعوا ووعوا دين الله تعالى على مائدة الحوار الهادئ، والمجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى:

- (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) سورة البقرة: ٥٣.
- (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) سورة الإسراء: ٥٣.
- (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) سورة النحل: ١٢٥.

بل إن الخطاب ليرتقي مرتقى لا يرد في معاجم الحضاريين ولا في قواميس المثقفين - كما يحبون أن يطلقوا على أنفسهم [٣٢]- إذ يقول:(قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) سورة سبأ: ٢٤.

ففي هذا الخطاب حوار حضاري مرموق يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يتلاطف مع المشركين إلى درجة الاستواء معهم في كل شيء، حتى يأمره ﷺ بأن يقول: قد نكون نحن على ضلالة، في الوقت الذي قد تكونون فيه على الحق والهدى.. فهل هناك خطاب أرقى من هذا؟! وهل لأمة حوار يرتقي إلى هذا المستوى من العدل والإنصاف والموضوعية التامة؟!

وعبرة العبر في الخطاب القرآني ما ورد في هذه السورة المباركة، وهو قوله جل شأنه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) سورة الحجرات: ١٣.

والملاحظ أن رقم الآية (١٣) ليس مدى في سورة عدد آياتها (١٨)، بل إنما فيه أبلغ الحكم، فقد اتخذ الخطاب مسارا تصاعديا حتى بلغ القمة في هذا الموضع، ثم انحدر في الاتجاه المقابل صعودا إلى الحضيض، إشارة إلى أهمية الخطاب الإنساني من جهة، وتهكما وسخرية من حال الأعراب الذين ادعوا الإيمان وهو لم يذوقوه، بل لم يعرفوا له معنى. لأن الإيمان ما

وقر في القلب وصدقه العمل، ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ سورة التوبة: ٩٧. إلا من رحم الله منهم وهم قلة. فههنا لطيفة في البعد الرياضي المستنبط من الآية الكريمة.

المطلب الثالث: خطاب الناس عموما:

من هنا نعلم كيف اختطت السورة الكريمة مسارها الهادف في الخطاب الإنساني العالمي الشامل، لا ما تدعيه العولمة[٣٤] القائمة على المنافع والمصالح والظلم والاستعباد وأكل حقوق الناس بالباطل، فأين الثرى من الثريا؟!

الخطاب في الآية الكريمة يسمو عن الأنانية والاثنية والعرقية والجنسية والعقدية الدينية والحزبية الضيقة والملية والمذهبية والطائفية والانتمائية والانتسابية والمحسوبية والمنسوبية وما إلى ذلك، إذ هو كما لمحنا خطاب سام راق مهذب مؤدب يدعو الإنسان بصفته الطبعية الجبلية الأصلية غير الخاضعة للشروط والإملاءات والظروف والتأثيرات... الخ.

إن في ذلك ارتقاء بالبشر من النظرة الدونية القصيرة إلى النظر المتأمل الفاحص الدقيق البعيد والشامل المغطى من كل الجوانب والجهات. فهنيئا لك يا إنسان بهذه النعمة الربانية، كيف لا وهو الخطاب الباقي الخالد أبد الدهر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ سورة الأعراف: ١٥٧ – ١٥٨.

المبحث الثاني الخطاب الإنساني المتمثل في السورة

المطلب الأول أقوال المفسرين

يبين الله عز وجل في بداية الآية أنه تعالى هو بذاته العلية خلق الإنسان من ذكر وأنثى، وهما آدم وحواء. أو خلق كل فرد من أفراد الإنسان من أب وأم، فيقول تعالى ذكره: (إنما خلقنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس، ليعرف بعضكم بعضا في قرب القرابة منه وبعده، لا لفضيلة لكم في ذلك، وقربة تقربكم إلى الله، بل أكرمكم عند الله أتقاكم) [٣٥]. و(ليعرف بعضكم بعضا بحسب الأنساب فلا يعتزى أحد إلى غير آبائه لا لتتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الأنساب) [٣٦]. لأن أكرمهم عند ربهم أشدهم اتقاء له وذلك بأداء فرائضه واجتناب معاصيه لا أعظمهم بيتا ولا أكثرهم عشيرة [٣٧]. ولأن مكانة الإنسان عند الله ليس بسبب حسبه ونسبه بل بزيادة التزامه بالإسلام وبانقياده لأوامر الله ورسوله ﷺ والابتعاد عما نهى عنه بنفسه أو على لسان رسوله القائل ﷺ: «من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله». والتقوى معناها: مراعاة حدود الله تعالى أمرا ونهيا، والاتصاف بما أمرك أن تتصف به، والتنزه عما نهاك عنه) [٣٨].

إذا فميزان التفاضل عند الله للإنسان هو التقوى والالتزام الأكثر بشريعته والانقياد التام لأمره قياما وصلا ولنهيه تركا واجتنابا وابتعادا وفي هذه الآية ما يأتي:

١- إن ميزان التفاضل بين الناس هو التقوى والالتزام والتمسك بدين الله، فكلما كان الإنسان أتقى كان أقرب عنده تعالى وأحب وأكرم.

٢- مهما كان الإنسان تقيا ليس له أن يفخر على الناس، لئلا يدخل في زمرة المرائين، بل عليه أن يشكره تعالى على هدايته ليسعد في الدارين.

٣- لا مكانة للإنسان حسبيا ونسبيا عند الله إن لم يلتزم بشريعته كليا.

فالذي يرفع شأن الإنسان عند الله تعالى التقوى لا الحسب والنسب والجسم واللون ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أحسابكم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر

إلى قلوبكم، فمن كان له قلبٌ مسالمٌ لعمل الله عليه، فإنما أعلم بهو أدنى وأعلمكم إليّ أتقاكم [٣٩]. والعلم بمعطى: الرحم [٤٠].

فالذي حظي بالمكانة والمنزلة والمرحمة الإلهية ومحبته لعالي هو الأتقى وصاحب التمسك والالتزام بما أنزله الله للناس رحمة لهم، ختم الله ﷻ هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أي عليم بظواهركم، يعلم أنسابكم خبير ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم، فاجعلوا التقوى عملكم [٤١].

المطلب الثاني: الخطاب العام:

يصف أستاذنا د. أحمد فتحي رمضان الحياني[٤٢]* "سورة الحجرات" بأنها هي لوحدها كاملة متكاملة تامة عامة شاملة وافية كافية، إنها ترسم صفات مجتمع مسلم نظيف في آدابه النفسية، ومكارمه الأخلاقية في معاملات الأفراد فيما بينهم. مجتمع مسلم متصان الحرمات والكرامات، لا يؤخذ فيه أحد بجريرة أحد، ولا يؤخذ أحد بالظنّ السيء ولا تنتهك فيه الحرمات والعورات، ولا تتعرض حرية فرد فيه للانتهاك السافر، ولا تمس كرامته ولا مشاعره من نبزٍ ولمزٍ وضيع لا مصير له ولا وجدان. مجتمع يحترم كل القوميات، بل يحترم كل الشعوب والأجناس، ويحترم الإنسان لأنه مجتمع يؤمن بوحدة الإنسانية، لا فرق فيه بين أسود وأبيض، ولا عربي ولا أعجمي إلا بالميزان الإلهي ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. وهو مجتمع لا يطلع عليه البشر لأن محله القلب المحجوب عليه بسرادقات الغيب والسر المكتوم والغيب المكنون. هو مجتمع مسلم نظيف واقعي، وليس حلما كما حلم به الفلاسفة الذين رسموه حلما أو خيالا في مخيلاتهم ومدينتهم الفاضلة. كما يضيف قائلا: إن السورة حقا هي علاج لأخطر الأمراض الاجتماعية، وهي سورة كل آية فيها مصباح مضيء الإضاءة التامة، يكشف عن مرض اجتماعي ناتج عن غطب الإيمان المسبّب مرض القلب والنفس، ثم يعالجه بدواله الإيماني البلسم الشافي للقلوب والنفوس والضمائر.. وغطبُ الإيمان هو أساس الأمراض بسبب خلل التعامل والآداب مع الله سبحانه وتعالى، ومع رسوله ﷺ مما يستجلب أمراضا اجتماعية كثيرة. فالسورة لك الدواء الناجع [٤٣].

سورة هي صورة مثلى للمجتمع المثالي الكامل الصافي من الشوائب والكدورات، وخطاب نداع من كتاب لا يعرف التمييز والتفرقة العنصرية ولا التفاخر ولا التباهي ولا التسلط ولا التكبر... فهو يحق خطاب عالمي الأبعاد إنساني الخطى والمسيرة والهدف، يترفع عن الأنا ونحن، ويتحاشى إثارة النعرات الطائفية، والدعوات الجاهلية، والشعارات القومية أو الوطنية العنصرية، ويبدو حقيقة عن سفاسف الأمور من عشائرية إلى قبلية وغيرها، إنه خطاب جمع سلمان الفارسي بيلال الحبشي وصهيب الرومي مع سادات من قريش وغطفان والمدينة المنورة، فجعلهم واقفا صفا واحدا في صعيد واحد وجوههم كلها إلى القبلة. وحجهم إلى بيت الله الحرام يأتون إليه من كل صوب وحدب وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، يلقون بالأكفان البيض شعثا غبرا ملتزمين بالعج والثج، دعواهم لبيك الله لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

ففي سائر أصناف العجم: من الحبش والروم والترك وغيرهم: (سابقون في الإيمان والذين لا يحصون كثرة على ما هو معروف عند العلماء إذ الفضل الحقيقي في اتباع ما بعث الله به محمدا ﷺ في الإيمان والعلم باطنا وظاهرا، فكل من كان فيه أمكن كان أفضل، والفضل إنما هو في الاسماء المحمودة في الكتاب والسنة مثل الاسلام والايمان والبر والتقوى والعلم والعمل الصالح والاحسان ونحو ذلك لا بمجرد ذكر الانسان عربي أو أعجمي أو أسود أو أبيض أو أن يكون قرويا بدويا) [١١].

لا يمتاز حاكمهم عن محكوم، ولا غنيهم عن فقير، ولا كبيرهم عن صغير... إنهم سواسية كأسنان المشط. اللهم ارزقنا ذلك الاصطفاء والاجتباء لتحشرنا في زمرة الرسل والأنبياء والصالحين المصلحين الصادقين المخلصين من الأولياء. اللهم آمين.

قال الحافظ ابن حجر :(أَنَّ الْمَنَاقِبَ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّمَا هِيَ بِالتَّقْوَى بِأَنْ يَعْمَلَ بِطَاعَتِهِ وَيَكُفَّ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ مَا يُوَضِّحُ ذَلِكَ فَعَنِ بْنِ عُمَرَ قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ النَّاسُ رَجُلَانِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ تَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) [١٢].

وقال علي رضي الله عنه [illegible]:

[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]

- سأل الصحابة رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟
- قال: أكرمهم عند الله أتقاهم.
- قالوا: ليس عن هذا نسألك؟
- قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله.
- قالوا: ليس عن هذا نسألك؟
- قال: فعن معادن العرب تسألوني؟
- قالوا: نعم.
- قال: " فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا " [11].

وقد روى حذيفة عنه ﷺ أنه قال: " كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ليدعن أقوام بفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان " [12].

وقد قيل القائل [13]:

[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]

إن القرآن الكريم حين أعلن المساواة الإنسانية؛ فإنه جعل معيارا لتفاضلها بالتقوى فالتقي هو

في القيم العليا التي يستطيع الإنسان أن يحققها في التناص إلى طاعة الله [٣٠]. وقال العلامة الطاهر ابن عاشور: «لأنهم لما تساووا في أصل الخلقة من أب واحد وأم واحدة، كان الشأن ألا يفضل بعضهم بعضاً إلا بالكمال النفساني، وهو الكمال الذي يرضاه الله لهم، والذي جعل التقوى وسيلته، ولذلك ناط التفاضل بالتكرم بـ (عند الله). إذ لا اعتداد بتكرم لا يعبأ الله به [٣١]. وكما نلاحظ من هذا المعيار الذي أقره القرآن للتفاضل، وسمح به في ظل الإنسانية، فإن هذا المعيار يرتبط برباط اتصال الإنسان بخالقه، وليس له أي مرد إلى أصل الكيان الإنساني ومجال التكريم، وفي هذا المعيار في التفاضل تبدو الصلة بالله هي الصلة الوحيدة التي تسمح بأن يتفاضل الناس على أساسها، فالتفاضل ليس مرده إلى الناس، بل مرده إلى الله، فالتقوى الواردة في الآية والتي جعلها القرآن الكريم مجالاً للتفاضل هي كما قال عفيف طبارة: «فضيلة أراد بها القرآن إحسان الصلة ما بين الإنسان والخلق، وإحسان الصلة ما بين الإنسان وخالقه... والمراد أن يتقي الإنسان ما يغضب ربه، وما فيه ضرر لنفسه أو إضرار لغيره [٣٢].

وعليه فالقرآن الكريم جعل الإنسان في موضعه الصحيح المعتبر، حين قسمه إلى ذكر وأنثى، وأنه في حقيقة الأمر ينتمي بشعوبه وقبائله إلى الأسرة الإنسانية الجامعة التي لا تفاضل فيها بين الإخوة جميعاً إلا بالعمل الصالح المعبر عنه بالتقوى .

الخاتمة:

في ختام البحث يطيب لنا أن نحدد النتائج التي توصل إليها البحث وهي:

١- تميز الخطاب في القرآن الكريم بالإنسانية والعالمية.

٢- لم يدع إلى تمييز وتفرقة من أي نوع كان.

٣- خصصت سورة الحجرات بمزايا خطابية خاصة تمثلت في صهر الإنسانية كلها في نداء واحد.

٤- دعت السورة إلى نبذ كل رذيلة ونشر كل فضيلة في المجتمع البشري قاطبة.

٥- لم يرد في خطاب القرآن أية نعرات مهما كانت.

٦- يقترح البحث مداولة البحوث الأصيلة في هذا المجال لنشرها في الإعلام على نطاق واسع لكي يعلو صوت الحق، وإنقاذ البشر جميعاً من ويلات العصر.

وبعد: فهذه أهم مدونات وبقاءات وملاحظات لعلي أشارك بها في مؤتمر كلية الخطاب القرآني الإسلامي العالمي المحكم.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت: ٦٣١هـ)، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، ط: ١، د. ت.

٢. الآداب الشرعية، أحمد بن الحسن بن علي بن عيسى الخشرجوردي الجاسمي، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: وعلق عليه: أبو عبد الله السيد المدني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣. إشكالية المصطلح القرآني (الخطاب والنص)، مجلة آفاق عربية، بغداد، السنة ١٨، آذار، ١٩٩٣م.

٤. أصول الأحكام الشرعية بين العلم والقرآن، د. عبد العظيم عبد الرحمن، نهضة مصر، طبعة ٢، ١٤٢٥هـ.

٥. بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: ٣٨٠هـ)، دت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية - بيروت (لبنان)، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٦. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي.

٧. تجديد الخطاب الديني مفهومه ومنطلقاته، د. عياض بن نامي السلمي، بحث منشور في مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

٨. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

٩. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - الفجالة، الطبعة: الأولى.

١٠. التفسير الوسيط للزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١١. تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي الغرناطي (ت: ٧٤٥هـ)، دت: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ.

١٢.تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٣.التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٤.الجاسوس على القاموس، أحمد فارس أفندي، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٢٩٩هـ.
١٥.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط: ١، ١٤٢٢هـ .
١٦.جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
١٧.الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ)، تح: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر ، بيروت، ط١، ١٤١١هـ .
١٨.خطاب الناس في الناس في القرآن الكريم قراءة في نوعية المضامين وآفاتها للباحث عدنان اجانة في الندوة العلمية الموسومة – الشريعة في أفق انساني الثابت والمتحول – في الرباط بتاريخ ١١- ١٢- ابريل ٢٠١٥) .
١٩.ديوان الامام علي (رضي الله عنه)
٢٠.الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي المعروف بـ «ابن المبرد» (ت: ٩٠٩ هـ)، تح: رضوان مختار بن غربية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٢١.الزهد للمعافى بن عمران الموصلي : أبو مسعود المعافى بن عمران بن نفيل بن جابر الأزدي الموصلي (المتوفى: ١٨٥هـ): دار البشائر الإسلامية - بيروت: الدكتور عامر حسن صبري ، ط: ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
٢٢.سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية تأليف الدكتور ناصر بن سليمان العمر.
٢٣.سورة الحجرات منهج تربوي لمجتمع مثالي، عبد الحميد عمر الأمين، رسالة بإشراف: د. الحسيني عبد المجيد هاشم، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع الكتاب والسنة، مكة المكرمة، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
٢٤.سورة الحجرات(دراسة بيانية) د.احمد فتحي رمضان ،جامعة الموصل .

٢٧. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٢٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) ت : حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي، القاهرة(١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م) .

٢٩. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠١هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

٤٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٤١. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار : لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) ت: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي : مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ط: ١، وانتهت ٢٠٠٩م) .

الهوامش

(١) وقد تكررت خمس مرات في السورة الكريمة.

(٢) يسميه أهل الفيزياء بـ "الزمكان" في مفهوم النظرية النسبية لأينشتاين ، ينظر: (خطاب الناس في الناس في القرآن الكريم قراءة في نوعية المضامين وأفقها للباحث عثمان اجانة في الندوة العلمية الموسومة – الشريعة في أفق انساني الثابت والمتحول – في الرباط بتاريخ ١١- ١٢- ابريل ٢٠١٥) .

(٣) ينظر : تفسير الرازي : ٢٨/ ١١٢- ١١٤ .

(٤) ينظر : التفسير القرآني للقرآن : ٥/٥٩٩ ، والجوانب الاعلامية في خطب الرسول ﷺ : ١/ ١١٥.

(٥) معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس: ٢/ ١٩٨، وينظر: تهذيب اللغة للازهري :٧/١١٢ .

(٦) لطائف الإشارات (= تفسير القشيري): ٣/ ٤١٧.]

(٧) م. ن: ٢/ ١٣٥.

(٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٢/ ٦٧.

(٩) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي: ١/ ٩٥.

(١٠) ينظر: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا الأنصاري: ٦٨.

(١١) ينظر: شرح الكوكب المنير (المسمى بمختصر التحرير)، لابن النجار: ١/ ٣٣٩.

(١٢) التعريف على مهمات التعاريف: المناوي: ١٥٦.

(١٣) ينظر: تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه: د. عباس الشامي: ٤.

(١٤) ينظر: في مناهج الدراسة الأدبية: حسين وادي: ٣٧.

(١٥) ينظر: إشكالية المصطلح النقدي (الخطاب والنص) أبو سعد وغانيي: مجلة آفاق عربية: ٥٩.

(١٦) ينظر: أصل الأجناس البشرية بين العلم والقرآن: د. عبد العليم عبد الرحمن خضر: ١٥٢.

(١٧) ينظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون: / ٥٨٨.

(١٨) ينظر: الجاسوس على القاموس: أحمد فارس الشدي: ٩٣٤، وينظر: صحاح اللغة للجوهري: ٥/ ١٧٦١

(١٩) معجم لغة الفقهاء: محمد قلعجي، حامد قنيبي: ٧٥.

(٢٠) ينظر: الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي: ابن الميرد: ٢/ ٢٠٢.

(٢١) لطائف الإشارات: ٣/ ٤٢٧.

(٢٢) روح المعاني: عبد القادر العاني: ٣/ ٤٢٧.

(٢٣) سيرة ابن هشام: ١/ ٦٢٠.

(٢٤) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي: ٣/ ٢٤٦٨.

(٢٥) التفسير الوسيط للطنطاوي: ١٣/ ٢٩٩.

(٢٦) ينظر: تفسير الشافعي: ٣/ ١٢٧٠.

(٢٧) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٢٤، وتفسير: زهرة التفاسير: ٢/ ٦٥٦.

(٢٨) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية: ١/ ١٥،٣٠، ٨/ ١٦، ٦٠٥٠؛ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك: ٣/ ١٢٨٢، ١٦٦١.

(٢٩) ينظر: تفسير الجلالين: ٦٨٧.

(٣٠) ينظر: المصدر نفسه: ٦٨٧.

(٣١) ينظر: م. ن ٦٨٨.

(٣٢) ينظر تاريخ آداب العرب: ٢/٦٤.

(٣٣) وما أبعدهم عن النور والتنوير، بل يحلو لهم الحدس في إصدار الأحكام والقرارات.

(٣٤) العولمة: وهي ظاهرة عالمية يراد منها اصطباغ عالم الأرض بصبغة واحدة شاملة لجميع من يعيش فيه، وتوحيد أنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية من غير اعتبار لاختلاف الأديان والثقافات، والجنسيات والأعراق وتهدف الى تحقيق نفوذ دولية واسعة النطاق ضمن دول عديدة ومتنوعة: ينظر موسوعة المذاهب العالمية المعاصرة: ٢/ ١٢٨.

(٣٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٢٢/ ٣١٢.

(٣٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي: ٨/ ١٢٣، وينظر: تفسير البحر المحيط ٢/٥٧٤.

(٣٧) م. س: ٢٢/ ٣١٢.

(٣٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٦/ ٣٤٥.

(٣٩) رواه الطبراني في الكبير.. ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ١٠/ ٢٣١// ١٧٧١٢.

(٤٠) ينظر: المعجم الوسيط: ١/ ٢٠٣.

(٤١) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: ٢٨/ ١٤٠.

(٤٢) أ.د. احمد فتحي رمضان الحياني استاذ البلاغة في كلية الاداب /قسم اللغة العربية /جامعة الموصل.

(٤٣) مقالة في صحيفة الأستاذ الدكتور أحمد فتحي الحياني في صحيفته الفيسبوك.

(٤٤) سورة الحجرات منهج تربوي لمجتمع مثالي، عبد الحميد عمر الأمين: ٥٦.

(٤٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر: ٦/ ٥٢٧ ، أخرجه أبو داود (٥١١٦) والطحاوي في "المشكل" (٣٤٥٨) والخطابي في "الغريب" (١/ ٢٩٠) والكلاباذي في "معاني الأخبار" (ص ٥٤) والبيهقي في "الآداب" (٥٥٥) والخطيب في "تاريخه" (٦/ ١٨٧ - ١٨٨) وعن المعافى بن عمران الموصلي وهو في "الزهد" (١٤٧).

(٤٦) ديوان الإمام علي: ٣٤.

(٤٧) على ألا يؤدي إلى الإعجاب أو المنة، أخرجه البخاري (٤/١١١، ١٢٠، ١٢٢) كتاب الأنبياء، ومسلم (٤/١٨٤٦) كتاب الفضائل، رقم (٢٣٧٨).

(٤٨) أخرجه البزار رقم: (١٥٧٥٢).

(٤٩) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميري: ١/ ١٤٩.

(٥٠) سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية، أ.د. ناصر بن سليمان العمر: ١٥١.

(٥١) التحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٦٢.

(٥٢) المنهج القرآني: أسسه وقواعده في التعامل دراسة تدبرية تأملية في سورة الحجرات، د. سعيد بن راشد الصوافي، مجلة تدبر، العدد الثاني السنة الأولى: ١٤٩-١٥٢.